تقارير خاصة

تقدير موقف

تحولات فارقة:
العلاقات الأمريكية – الايرانية
فى مرحلة ما بعد سليمانى

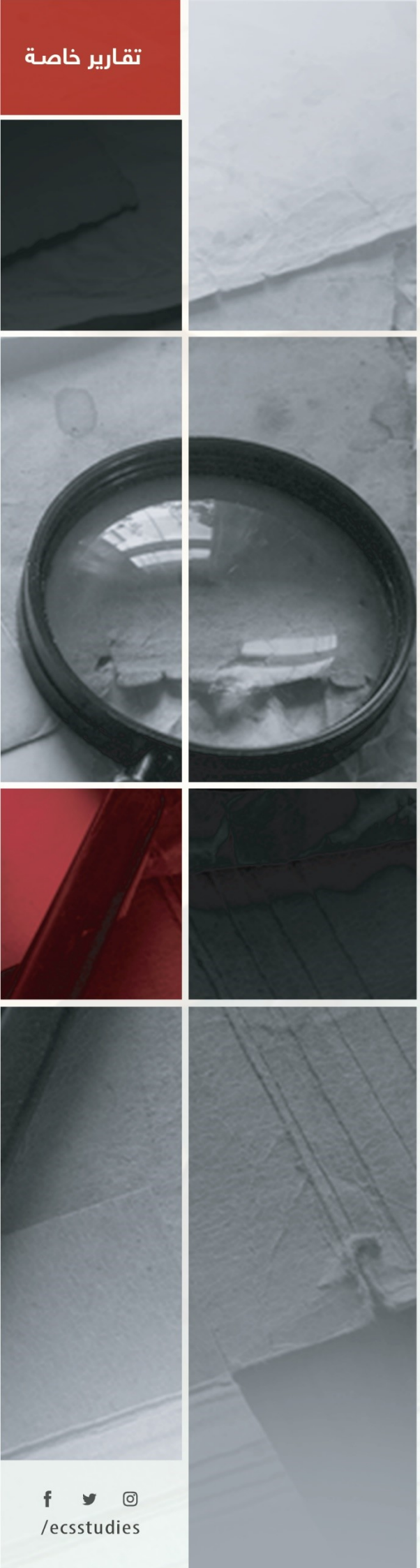

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
ECSS | EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

/ecsstudies

www.ecsstudies.com

تحولات فارقة : العلاقات الأمريكية – الايرانية فى مرحلة ما بعد سليمانى

من المرتقب أن تلقى عملية اغتيال الولايات المتحدة لقائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليماني ومعه أبو مهدي المهندس نائب قائد الحشد الشعبي العراقى وأربعة من كبار ضباط فيلق القدس في بغداد بالعديد من التداعيات التى ستنعكس تباعاً وسريعاً على العلاقات الإيرانية – الأمريكية, باعتبارها تمثل خطوات تصعيدية خطيرة وغير مسبوقة, بل يمكن القول أنها لم تكن مدرجة كأحد السيناريوهات المحتملة لدى الطرفين وفقا لخبرة وطبيعة مسار العلاقات فيما بينهما على مدار العقود الأربعة الماضية منذ الثورة الايرانية عام 1979 والتى غلب عليها طابع التوتر .

كذلك يعكس هذا التطور العديد من الدلالات فى المقدمة منها متغير قواعد الاشتباك التقليدية التى أرسها الطرفان طيلة تلك الفترة, لاسيما مرحلة تواجدهما معا على الساحة العراقية منذ سقوط النظام العراقى السابق عام 2003 , حيث سيعتمد الطرفان عملية " شد الأطراف " إلى أقصى درجة ممكنة, وذلك بالنظر الي المكانة التي كان يتمتع بها سليمانى في موقعه القريب جدا من رأس الهرم فى النظام الإيراني, والتي تعد مكانه استثنائية, كما أن غياب شخصية محورية مثل سليماني سيكون له انعكاساته علي المشروع ايران الاقليمي والتى ستحارب من أجل إستكماله, بما سينعكس بالتعبية على مستوى الاستقرار والأمن داخل العراق وعلى المنطقة بصفة عامة.

وفى هذا السياق من المتصور أن هناك عدد من الملاحظات الرئيسية يجب وضعها فى الاعتبار أولاً لتحليل المشهد الحالى ومنها على سبيل المثال:-

سليمانى : غياب الجنرال المؤسس لذراع طهران الطويلة فى الخارج

حيث يعتبر الجنرال قاسم سليماني هو المؤسس والقائد الفعلي لفيلق القدس "ذراع العمليات الخارجي للحرس الثوري الإيراني" قد أصبح خاصة خلال العام الأخير شخصية سياسية تجاوزت المنصب العسكري الأمني , بحيث أصبح المسؤول الأول سياسيًا وعسكريًا عن الملفات السورية والعراقية واليمنية واللبنانية والذي يتولى الاستراتيجية الإيرانية في تلك الدول

ويعتبر بذلك مهندسًا للأذرع الإيرانية الخارجية, وتتولى قيادات أخرى العمل التنفيذي في تلك الملفات, وقد زادت مهامه في الفترة الأخيرة, حيث تولى فيلق القدس مهام داخلية في مواجهة التظاهرات التي شهدتها إيران مؤخرًا وذلك بتكليف من خامنئي شخصيًا متجاوزًا كافة القيادات العسكرية في الجيش والحرس الثوري الإيراني.

خليفة سليمانى: تركة ثقيلة ومستقبل حافل بالتحديات

الجنرال " إسماعيل قآني" كان بمثابة رئيس أركان حرب فيلق القدس وكان نائبًا لقاسم سليماني منذ انشاء الفيلق وتولى المهام التنفيذية للانتشار العسكري الإيراني المباشر أو من خلال الفصائل العسكرية العراقية والمجموعات الباكستانية والافغانية في سوريا, ومع تصعيد سليماني للمهام السياسية زادت مسؤولية إسماعيل قآني في تنفيذ المهام العسكرية في سوريا واليمن. وبالتالي سيحاول تعويض غياب سليماني بلعب الأدوار التي كان يلعبها لكنه سيمنح أولية للجانب العسكري .

أبو مهدى المهندس : غياب " نائب الظل " ورجل طهران القوى فى العراق

أبو المهدي المهندس الذي تم اغتياله أيضاً كان عنصرًا اساسيًا في الكتيبة العراقية التي انشأتها المخابرات الإيرانية في فترة الصراع مع النظام العراقي السابق, وكان أحد كوادر حزب الدعوة العراقي الذي قام بمحاولة فاشلة لاغتيال أمير الكويت 1985, وشارك مع مجموعاتٍ عسكريةٍ في الحرب العراقية الإيرانية مع الجانب الإيراني وأسس فيلق بدر التنظيم العسكري الأول الذي انشأته إيران في العراق بعد سقوط النظام, ثم تركه لقيادة الهادي العامري أحد الكوادر المرتبطة بفيلق القدس, وأسس كذلك حزب الله العراقي, وبعد تكوينه تركه ليتفرغ لمنصب نائب قاسم سليماني في العراق والذي يُشرف فعليًا على كل ما يتعلق بفصائل الحشد الشعبي وخارطة انتشاره سواء في العراق أو سوريا, وساعده سليماني في ارغام الحكومة العراقية على تمويل وتسليح تلك الفصائل. ومن المتوقع أن هناك عديد من الشخصيات التى ستتنافس على ملىء الفراغ الذى تركه المهندس الفراغ وهى الشخصيات

التى كانت تدور فى فلكه مثل هادى العامرى رفيق دربه وقيس الخزعلى زعيم مليشيا عصائب أهل الحق الذى كان من أبرز المقربين له فى الفترة الأخيرة وآخرون.

أما على صعيد الدلالات ذات الصلة بتلك التطورات فهناك أربع دلالات رئيسية وهى :

ضربة استباقية نوعية : من المتصور أن الوفد الذي رأسه سليماني وتعرض للضربة الأمريكية كان عائداً- حسب مصادر إسرائيلية وامريكية- من زيارة ميدانية لدمشق ولم يلتقي خلالها بأي من كبار المسؤولين السوريين, ولكنه التقى بقادة الفصائل الميدانية التابعة لإيران في سوريا وذلك لإقرار إعادة هيكلة وانتشار لتلك التنظيمات في مناطق أكثر تحصينًا والاتفاق على خطة عمليات خلال المرحلة القادمة. ويُرجح أن معلومات استخباراتية إسرائيلية تم تسريبها للولايات المتحدة, قرأت هذه اللقاءات على انها استعدادًا لعمليات عسكرية ضد مصالح أمريكية في المنطقة وهو ما استند إليه الرئيس الأمريكي في تبرير ضربته.

عرقلة خطة طهران المستقبلية لاعادة هيكلة أذرعها الخارجية مؤقتاً: حيث تزامن ذلك كله مع توجه جديد تبناه سليماني ومعه أبومهدي المهندس لإعادة هيكلة وانتشار الفصائل العسكرية العراقية وفي المناطق المحيطة بالانتشار الأمريكي العسكري والسياسي في العراق, فضلًا عن اتخاذ إجراءات وترتيبات لإنشاء فصيلين عسكريين جديدين من مجموعات عراقية خارج التنظيمات الموجودة حاليًا وتم تدريبها في إيران وبإشراف مباشر من قيادات في فيلق القدس وأبو مهدي المهندس شخصيًا, حتى تكون غير مرصوده لدى الولايات المتحدة الأمريكية وتتولى مهام لا يُحاسب عليها الحشد الشعبي بصورة مباشرة.

توظيف ايران للحدث بإعادة اصطفاف الكتل الشيعية: على الرغم من خسارة إيران لقائد كبير بحجم سليمانى , لكن من المؤكد أن ستوظف غيابه من خلال استثمار إعادة ترتيب البيت الشيعى الذى شهد تصدعات عديدة خلال الفترة السابقة, حيث ستعيد تلك الفصائل اصطفافها مجدداً وستتكاف على هدف واحد وهو مواجهة التواجد الأمريكي فى العراق, كذلك فموقف المرجعية العليا في العراق – آية الله على السيستاني- من العملية الأمريكية جاء واضحًا وفي غير صالح الموقف الأمريكي وهو ما سوف تستثمره إيران والقوى

المعادية لأمريكا في العراق، وسيمثل ذلك فتوى يضغط بها الحشد الشعبي على الكتل السياسية الشيعية لاتخاذ موقف سياسي ضد الوجود العسكري الأمريكي في العراق.

أولويات الردع : سبقت هذه الضربة تبادل لعمليات عسكرية بين كل من إيران والولايات المتحدة على الساحة العراقية تصاعدت بشكل واضح في الشهرين الأخيرين، حيث تعرضت المنشآت العسكرية الأمريكية في العراق لـ (11) هجمة صاروخية بصواريخ كاتيوشا وصواريخ عيار 200 ملي بكثافة، وجاءت العملية الأخيرة للتأكيد على استعادة الردع الأمريكي في المواجهة مع ايران، وفى المقابل ستعمل ايران من جانبها بعد امتصاص الضربات السابقة إلى توجيه ضربة أيضا فى إطار الردع المضاد كأولوية بالدرجة الأولى.

على صعيد التداعيات المرتقبة للعملية فمن المتوقع أنها ستكون فى إطار عدد من المسارات ومنها على سبيل المثال :-

1- زيادة حدة التوتر في الأزمة النووية الإيرانية والعلاقات الأمريكية الإيرانية بصفة عامة، بحيث لا يتصور معها أن يتجه أي مسؤول إيراني لقبول التفاوض على عناصر تلك الأزمة في التوقيت الحالي، وهو ما يضع صعوبات امام ما كانت تقوم به بعض الدول الأوروبية خصوصًا فرنسا على هذا المستوى.
2- اعادت العملية طرح قضية الوجود العسكري الأمريكي في العراق والإطار الاتفاقي الذي يحكمها وسوف تُزايد القوى الشيعية السياسية على ذلك خلال المرحلة الحالية، ومن المُرجح أن تُطرح قوانين لاتخاذ قرار بطرد هذه القوات من العراق، إلا أنه لا يتصور أن يتوصل البرلمان لقرار بهذا الخصوص بسهولة، حيث تمثل الكتلة الكردية عنصر ترجيح، وسوف ترفض مثل هذا القرار، لكنها سيكون مجالًا للتجاذب السياسي لعناصر الأزمة القائمة في العراق.
3- من المرجح أن تؤدي هذه العملية إلى إعادة تماسك الكتل السياسية الشيعية الرئيسية وتعيد القوى التي حاولت اتخاذ مواقف أكثر استقلالية فيما يتعلق بالتبعية لإيران –مقتدي الصدر/ الحكيم- وهو ما يمكن أن يدفع إلى تشكيل حكومة عراقية

وفقًا للضوابط السابقة, تحتفظ إيران داخلها بمستوى النفوذ السابق على حساب دعاوى تغيير هيكل النظام العراقي.

4- من المرجح أن تترك العملية بتفاعلاتها المختلفة تداعيات سلبية على الحراك السياسي الجاري في العراق, بحيث تكون المواجهة بين قوى الشارع المطالبة بالتغيير الجذري في هيكل النظام والقوى المرتبطة بإيران أكثر حدة وعنفًا, وهو ما يطرح سقفًا لهذا الحراك لا يشمل التغيير المطلوب ولكنه سيستجيب لبعض المطالب فيما يتعلق بمواجهة الفساد وأبعاد الشخصيات المحسوبة على التنظيمات الحالية من المشهد السياسي في العراق, كنوع من الترضية لا تنسحب على تغيير هيكل النظام الحالي.

5- من الطبيعي أن يكون هناك ردًا إيرانياً على العملية العسكرية للمحافظة على الهيبة الإيرانية في مناطق الأذرع بما يُرجح معه التعرض لبعض مناطق الوجود الأمريكي العسكري والسياسي في تلك الدول أو بعض الدول الخليجية سواء بصورة مباشرة من إيران أو من الأذرع المرتبطة بها.

6- رغم استراتيجية الرئيس الأمريكي لتحفيف الوجود العسكري في الخارج, إلا أن هذه التطورات سوف تدفعه لزيادة الانتشار العسكري في العراق والخليج والدوائر التي ينتشر فيها الحضور الأمريكي, بما لا يتوافق مع ما أعلنه في حملته الانتخابية ويزيد من مناطق التعرض الأمريكي للعمليات الإيرانية, وهو ما يمكن أن يُمثل عاملًا على الإدارة الأمريكية في المواجهة الجارية مع إيران.

7- من المُرجح كذلك أن تؤدي مجمل هذه التطورات إلى تداعيات داخلية في إيران, حيث ترتفع أسهم المتشددين في مواجهة الأقل تشددًا " الإصلاحيين" وكذلك على الحراك الداخلي في إيران, حيث سيركز النظام على تصاعد الخطر الخارجي والتأكيد على أنه يهدد الدولة الإيرانية وليس النظام.

في المحصلة الأخيرة: يمكن القول إن الإدارة الأمريكية باتخاذها هذا القرار استهدفت مكاسب داخلية للرئيس الأمريكي الذي يواجه موقفًا داخليًا صعبًا, ليبدو حريصًا على الأرواح الأمريكية ليجذب الانتباه الشعبي إليه, ولعل تأكيد كافة القيادات العسكرية والسياسية

الأمريكية في تعليقها على العملية على أنه قرار مباشر للرئيس للحفاظ على أرواح الأمريكيين. كما يكشف ذلك عن توجه للرئيس الأمريكي بأنه أقر سياسية استباقية في مواجهة القوى التي يعتبرها مهددة للمصالح الأمريكية وذلك لموجهة الاتهامات التي يوجهه الديمقراطيين إليه بالضعف وعدم الرؤية الصائبة في مواجهة التهديدات الأمريكية.

أن ذلك كله لن يؤثر على الاستراتيجية الإيرانية في دول الأزمات التي تمثل الأذرع الإيرانية وسوف تحرص إيران على تقديم أية تنازلات أو تفاهمات خلال المرحلة القادمة للتأكيد على امتلاكها أوراق الضغط, والقدرة على تهديد الاستقرار والأمن في مناطق المصالح الأمريكية والغربية.

تجري هذه الأحداث والتطورات في شكل ومستوى المواجهات بين أمريكا وإيران وميدانها الرئيسي هي الدول العربية التي تشتبك مع عناصر هذه المواجهة في ظل غياب موقف عربي جامع لتحديد مدى تأثيرها على المصالح العربية والأمن القومي العربي واتخاذ ترتيبات أو مواقف تحد من سلبياتها عليه.

المركز المصري للفكر والدرسات الاستراتيجية

5 يناير 2020